المبحث الأول

تأملات فى عالم الحياة

«إن الحياة مليئة بالاسرار،
وتحتاج منّا إلى شفافية عالية
للوصول إلى تلك الاسرار».

د: كيث لى مور
عالم الاجنة الكندى

مسألة الحياة شغلت الباحثين كثيراً على مر الأزمنة والحقيقة أنَّ هذه المسألة فعلاً تحتاج لتفكير عميق وأبحاث عديدة لأنها ليست أمراًهيناً.

لقد بدأت أسئلة كبيرة تدور فى أذهان العلماء كيف نشأت الحياة؟

ومتى نشأت؟

وهل ستستمر إلى مالانهاية أم لها نهاية؟

أسئلة عديدة واستفسارات كثيرة حول ماهية وكنه الحياة .

على هذا الكوكب العجيب الذى يعرف بكوكب الحياة.

متى نشأت هذه الحياة؟

هذا السؤال أمكن الاجابة عليه بعد نشأة علم الجيولوجيا وعلم الحفريات، وإستطاع الجيولوجيون باستخدام العناصر المشعة التوصل لأشياء جديدة عن هذا الكوكب الغريب (كوكب الحياة).

هذا الكوكب كان جزءاً من الشمس(والشمس كانت جزءاً من الكتلة الواحدة المكونة للكون والتى هى من صنع الله)، ثم حدث إنفصال للأرض عن الشمس منذ ٤٦٠٠ مليون سنة كما أثبت العلماء ذلك.

هذا الكوكب الذى تراه أمامك ذاخراً بأشكال الحياة ظل ٤٠٠٠ مليون سنة خالى من صور الحياة، حيث بدأت فيه الحياة فى مراحلها الأولى منذ ٦٠٠ مليون سنة.

لكن التفكير حول كيفية نشأة الحياة أخذ وقتاً طويلاً، ولم يحسم أمره إلاَّ فى العصر الحديث، (لاحظ أسبقية القرآن فى هذا الامر).

بداية التفكير كانت نوعاً من الفكر السطحى غير المبنى على تجارب، وكان تفسيره أن الحياة نشأت من بذور وهذه البذرة أتت من كوكب آخر والذى أتى بها الجان، ومع تطور النظريات خرجت نظرية الأصل التلقائى للحياة، والتى تنص على أنَّ الكائنات الحية تنشأ من كائنات غير حية، ولقد دار حول هذه النظرية جدل كثير إستمرأ كثر من مائتى عام، عالم يثبت النظرية وآخر يثبت خطأها.

إلى أن رسا الأمر عند العالم الفرنسى لويس باستير الذى حسم القضية بقارورته

المعروفة باسمه (قارورة باستير)، وأثبت أنَّ الكائنات الحية لاتنشأ إلاَّ عن كائنات حية مثلها، ومن ثم أصبح السؤال المطروح: كيف نشأ أول كائن حى؟

بمعنى أن السلالة البشرية لها أب هو سيدنا آدم علية السلام.. كيف نشأ؟

سلالة كذا لها أب كيف نشأ؟

حاول العلماء جاهدين الاجابة على هذه الأسئلة الخاصة بنشأة الحياة؟

وأخيراً حلل العلماء نسبة الأملاح الموجودة فى أجسام الكائنات الحياة، واستطاعوا قياسها باستخدام أجهزة دقيقة وقياس نسبة الأملاح فى البحار، وكانت النتيجة واحدة فى الحالتين.

وما معنى هذا؟

أصل الحياة هو الماء.

إذن العلم يؤكد على أنَّ أصل الحياة هو الماء، وكما أثبت العلماء أن مراحل الحياة الأولى نشأت فى الماء.

لكن هذا تم فى العصر الحديث بعد تقدم الأجهزة التى إستخدمها العلماء فى إثباتهم.

وعند نزول القرآن الكريم لم تكن هناك أجهزة حتى يقول المفترون إستخدمها محمد واستنتج منها ثم قال ما استنتجه.

ومع ذلك سنذهب إلى هذا البحر العجيب كتاب الله(القرآن الكريم) لنسأله عن أصل الحياة.

فماذا يقول القرآن الكريم؟

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(١).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾(٢).

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٠).

(٢) سورة النور الآية (٤٥).

ماذا يقول؟!

منذ أكثر من أربعة عشر قرناً يقول القران هذا الكلام ويؤكد على أن أصل الحياة هو الماء.

أكان محمد أستاذ حيوياً حتى يخوض فى هذا الموضوع.

ثم الموضوع الأهم:

أنَّ محمداً لم يطلب منه أحداً أن يفتيه فى أصل الحياه، فما الذى يجعله يفتى فى مسألة علمية لم يسألْ عنها؟

ماذا كان سيحدث لدعوته لو ثبت عكس ما قال؟

الأمر أعظم وأكبر لأن القائل ليس محمداً وما محمدُ إلاَّ مبلغ، القائل هو الله الذى خلق الحياة وهو الذى يعلم كيف نشأت وماهو أصلها.

لكن القرآن لم يقف عند بيان مسألة أصل الحياة بل تعرض لأشياء عديدة عن هذه الحياة.

فلقد خلق الله آدم عليه السلام ولفظ أدم معناه المخلوق من أديم الأرض (أى الطبقة السطحية والمعروفه بالتربة.

لقد أكد القرأن أن آدم خلق من عناصر هذه التربة وذلك فى قوله:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(١).

والعجيب أن أهل العلم قاموا بتحليل الجسد الانسانى فوجدوا عناصره ستة عشر عنصراً أكثرها!

(السليكون، الحديد، الالومنيوم، الكالسيوم، الصوديوم، البوتاسيوم، الماغنسيوم).

ثم حللوا التربة(الطبقة المفككة من القشرة الأرضية)، ووجدوا نفس التوزيع النسبى للعناصر الاصل أى أنَّ الانسان خلق من هذه العناصر، لكن الأصل فى التكوين هو الماء.

فالإنسان مخلوق من هذه التربة (الطين) والطين ماهو إلاَّ تراب معجون بماء.

وما أكثر الذين يقولون كيف يبعث الله من أكله الذئب؟

(٣) سورة طه الآية (٥٥).

بل ومنهم من يجادلك وكأنه ملك أزمة الامور فيقول لك: فلان مات (أى إنسان)

ودفن بجوار شجرة

جسده سيتحلل بالطبع

الشجرة ستمتص بعض العناصر الناتجة عن التحلل.

لو أكل هذا الشجرة عديد من الحيوانات.

إذن ستنتقل العناصر لهذه الحيوانات وتتوزع عليها ويأتى حيوان آخر يأكل الحيوان الأول. أويصطاد إنسان الحيوان الأول ويأكله ..... كيف يبعث هذا الإنسان؟!! المسألة ليست مسألة أجساد والعناصر ليست مطلقة كما تظن بل نسبية.

بمعنى أنَّ كلاً منَّا جسده يحتوى على الستة عشر عنصراً، لكن كل عنصر له نسبة فى كل جسد.

قد يتفق إثنان أو أكثر فى عنصر أو إثنين أو ثلاثة أو خمسة عشر عنصراً، ولكن لايوجد إثنين يتفقان فى نسبة الستة عشر عنصراً، ومن ثمَّ مادام لكل جسد تركيبة معينة بنسب معينة وصفها الله، فالله قادر على إعادته بنفس النسب لهذه العناصر.

ولذا يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(١)

تأمل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أى أنه سبحانه عليم بكل تركيبة معينة من عناصر معينة ونسبها لكل جسد، لأنه سبحانه هو الذى وضع هذه العناصر وحدد نسبها، فكيف يعجز أن يعيد بنيتها كما كانت؟!!

ولذلك يؤكد الحق على أنَّ الإنسان سيعود ويبعث بعد موته ؟؟؟ وبنفس نسبة عناصره وذلك فى قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾.

وإذا مابحثنا فى هذا القرآن الكريم عن الكائن الحى المستخلف فى هذه الأرض سنجد العجب العجاب، والحجة البالغة على صدق هذا الكتاب.

(١) سورة يس الآية (٧٧ ـ ٧٩).